

الأثر الهلنستي في تصور السعادة عند فريدريك لونوار ولوك فيري

*The Hellenistic Influence on the Concept of Happiness in Frédéric**Lenoir and Luc Ferry*

جامعة عبد الحميد ابن باديس

فلسفة

مستغانم – (الجزائر)

ابن سلامة عبد الوهاب abdelwahhab benselama

* abdelwahhab.benslama.etu@univ-mosta.dz

جامعة عبد الحميد ابن باديس

فلسفة

مستغانم – (الجزائر)

بن دنيا سعدية saadia bendenia

bendeniasaadia@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2024/12/31

تاريخ القبول: 2024/12/15

تاريخ الإرسال: 2024/06/12

ملخص:

الهدف النهائي لأي سلوك أو نشاط هو بلوغ السعادة، كغاية الغايات، إنها الخير الأعلى الذي يتوق إليه البشر. إلا أن هذا الحلم أصبح يوتوبيا، نظرا للتعقيد الذي تتميز به الحياة الغربية. فمن جهة، مؤشر إيجابي، بالنظر للتطور العلمي والتقني، ومن جهة أخرى، فهو سلبي، بالنظر للانحيار الأخلاقي والروحي، فلا التوافق بين الناحيتين، غيب الراحة والطمأنينة، لذا كان هذا الشقاء مصوغاً لتدخل الفلاسفة المعاصرين لتطبيب هذا الشقاء، محاكين حكماء الحقبة الهلنستية، لبلوغ السعادة، فيا ترى كيف أثرت الأخلاقيات الهلنستية في تصور لوك فيري ولونوار لمسألة السعادة؟

الكلمات المفتاحية: الفلسفة الهلنستية؛ السعادة؛ الفلسفة المعاصرة؛ لوك فيري؛ فريدريك لونوار.

Abstract:

The ultimate goal of any behavior or activity is to achieve happiness, the ultimate end. It is the highest good that humans aspire to. However, this dream has become a utopia due to the complexity that characterizes Western life. On one hand, there is a positive indicator with regard to scientific and technological advancement, and on the other hand, there is a negative aspect concerning moral and spiritual collapse. The lack of harmony between these two aspects has obscured comfort and tranquility. Thus, this suffering has prompted contemporary philosophers to seek remedies for this anguish, emulating the sages of the Hellenistic era in the pursuit of happiness. So, how did Hellenistic ethics influence Luc Ferry and Frédéric Lenoir's views on happiness?

* المؤلف المراسل: abdelwahhab.benslama.etu@univ-mosta.dz

Keywords: Hellenistic philosophy; happiness; contemporary philosophy; Luc Ferry; Frédéric Lenoir.

1. مقدمة:

تشهد البشرية في الفترة المعاصرة تطورا منقطع النظير، نتيجة للتقدم العلمي والتقني والحضاري الذي ما فتأت تعرفه، فكان بمثابة الخلاص المعوّل عليه، فتم تأليه العقل وإعلان مركزية الإنسان بدل الإله والكون، إلّا أن هذه الثورة الحداثيّة لم تحقّق له الحلم، فبعدها كان يخشى الطبيعة إلى حد تأليهها، نزع عنها طابع السحر، فأصبح يتحكم فيها لدرجة أنه تحوّل إلى ضحية لأبحاثه العلمية، ليتحوّل إلى موظف للتقنية كما يعبر هايدغر **Martin Heidegger** فكانت النتيجة أن هذا الإنسان الإله، يعيش أزمة روحية وأخلاقية، جعلته يوصف بكل صفات الخواء الأخلاقي، بعدما فككت مرجعياته وسردياته الكبرى، بتعبير ليوتار، الأمر الذي أدّى إلى وقوعه في عدمية *Nihilisme* كانت قاسمة لكل أحلامه وأمانيه، كشفت أن الإنسان أساء التفكير، ليس في معرفة الأشياء، بل في معرفة نفسه. حيث تمّ تحويله إلى إنسان فائق في الاستهلاك حسب جيل ليبوفيتسكي.

إنه عصر السيولة بتعبير زيغومونباومنت، يكشف أن الثبات الوحيد هو تغيّر الإنسان فيها إلى دمية تحرّك خيوطها سلطويا، كما يرى ميشال فوكو، رافعا يده من صناعة التاريخ حسب هايدغر كضحية للعولمة، إنه تحت رحمة الكل إذن، حتى الأخلاق خانتها وأصبحت خفيفة وليست مؤلمة كما كانت مع كانط، ليدخل نفق الشك - نيتشه وماركس وفرويد - في كل قيمه العقلانية التي بنى عليها كل مشاريعه الحداثيّة. لقد انتهى كل شيء بالنسبة لإنسان مابعد البنيوية، تمظهر هذا في ظهور خطاب النهايات المخيف، نهاية الإله، نهاية التاريخ، نهاية الإنسان الطبيعي... ماذا بقي لإنسان الشاشة؟!

لا الحرية تحققت ولا السعادة تجسّدت ولا الكرامة حُفظت! هناك فقط تطور حضاري أعرج ورأسمالية بخلفية استعمارية، وفردانية متطرّفة، وعلمانية مقينة جنت على كل ما هو إنساني، انحطاط قيمي وشقاء بشري.... الإنسانية إلى أين؟

ظروف مأساوية كهذه لا تصنع سوى إنسانا شقيا وتعيسا، غير راض عن نفسه ولا عن إنجازاته، فأيّ مستقبل ينتظره؟ وما سبب هذه الانتكاسة؟ هل هناك أمل في إعادة البسمة لهذا الإنسان المسكين؟ وإن كان الجواب بنعم، فكيف ذلك؟ ومن سيحمل هذا الهم الأنطولوجي والمصيري؟ عموما عندما يكون الإنسان في هكذا مأزق، يتم استدعاء

الفلسفة- لا غير - لتداوي جراحه وتأخذ بيده، وغيرها يعتبر دجلا وشعوذة. إن مهمتها الأصلية التي وجدت من أجلها، تحقيق العيش الكريم والحياة الطيبة وإضفاء المعنى على حياته هموم الفلاسفة، وهذا فعلا ما يشغل عليه فلاسفة العيش بفرنسا محاولين انتشار هذا الإنسان المغلوب على أمره من مستنقع العدمية، لذا سنحاول في هذا البحث أن نتتبع هذه الاشتغال الإتيقي لهؤلاء الفلاسفة لمسألة السعادة، خاصة في جزئية عودتهم ومحاسنهم للأخلاقيات الهلنستية-الأبيقورية والرواقية-، محاولين إعادة بعث هذا التراث الفلسفي القديم، ومنه نطرح الإشكالية الآتية: كيف أثرت الأخلاقيات الهلنستية في تصور لوك فيري وفريدريك لونوار في مسألة السعادة؟

2. الحضارة الغربية إلى أين؟

1.2 بين الأزمة الأخلاقية وغياب المعنى

إن الحضارة الغربية اليوم تعيش أزمة أخلاقية بين ظهورها، فهذا المأزق تؤكد جاكين روس، حسب ما يراه دورتيي خاصة بعد تحطيم جملة المعايير الكلاسيكية التي كانت تتأسس عليها الأخلاق التقليدية، الأمر الذي ولّد فراغا أخلاقيا، لعدم وجود معيار أو قاعدة أخلاقية نطلق منها. وعمّق هذه المعاناة العلم، فبسببه الجنس البشري أصبح مهددا بالزوال.(دورتيي، 2009، صفحة 265) فيقول رورتي: "لا أظن أننا... نستطيع الآن أن نتخيل مستقبلا للكرامة الإنسانية والحرية والسلام، فليس لدينا إحساس واضح بكيفية الخروج من العالم الواقعي... وبالتالي ليس لدينا فكرة واضحة عما يجب أن نعمل من أجله"(مفرح، 2009، الصفحات 18-19)، فهذا دليل على حالة التيه والإفلاس القيمي التي يعيشها الإنسان الغربي.

إن العمى الأخلاقي ينتج بالضرورة أزمة أنطولوجية، يحدث هذا حتى في ظل رفاهية الاستهلاك، حيث نجد اشتغال متزايد للانشغالات الوجودية، وهذا كله في ظل التباهي بالتطور العلمي والتقني، لذا وجب دق ناقوس الخطر، لأنّ هناك بوادر إنهاء ما وصل إليه العقل التقني والأداتي، بكبسة زر فقط! (كوخ، 2023، صفحة 45) فلماذا نجد أن كل المهتمين بالقضايا المصيرية على كلمة واحدة، وهي أنّ الإنسان يحتضر فمصابه في كينونته جلل بدليل أن أسلحة الدمار الشمال موجهة من وإلى كل الشعوب.

إن ظهور البيوتيقا الساعية لأخلقة الدراسات البيوتيقية، لدليل على العقل الغربي في أزمة، فعوض أن تكون التقنية في خدمته، هو اليوم تحت سيطرتها، وهذا الغياب رهيب

للجانِب القيمي في مقابل السيطرة المادية (بونوفا وآخرون، 2021، صفحة 41)، فيالوقت الذي تتغنى الحضارة الغربية بمجتمع المعرفة والمعلومات وتتكالب من أجلها، ممّا أفقده المعنى، والأمان والراحة والسكينة. إن إنسان ما بعد الحداثة كما تكشف مدرسة فرانكفورت مع إريك فروم يعيش حالة اغتراب جعلته غير قادر على مواكبة ما يدور حوله (حماد، 2005، الصفحات 7-8) وهذا ما ينذر باستنزاف قدراته حتى الموت.

إن حالة ضياع المعنى وسيطرة العدمية، وانتشار الأفكار العبثية، تُلزم الإنسان للرجوع صوابه، ومساءلة نفسه، والاشتغال عليها، ليعود إلى فطرته السليمة التي مُسخت وشوّهت، فبعيدا عن الدجل الذي تمارسه بعض التخصصات على أن الحلّ بيد هاننعتقد جازمين أن الحل والشفاء بيد الفلسفة كعيادة طبية، ليس بالمفهوم الحديث، حيث الغرق في المجردات والتلاعب بالمصطلحات والأسلوب المعقّد، وإنما بالمفهوم القديم (ناشيد، 2020، صفحة 11) حيث كانت الفلسفة هي الطبّابة كما يردد دوما أبيقور.

الفلسفة كتجربة خلاص للفلاسفة المعاصرين

المتابع لتاريخ الفلاسفة الشخصي يجد أن الفلسفة كثيرا ما كانت هي المنقذ من حالات التيه، وبعض حالات الاكتئاب والصعوبة في العيش التي عايشها الفلاسفة، ولحسن الحظ وجدوا الترياق في الفلسفة، كخلاص ذاتي. لذا سنعرض في بحثنا هذا عدّة نماذج حيّة تؤكد هذا الطرح.

2.2.1 أندريه كونت سبونفيل وإديث هول

إن فيلسوف المرح الفرنسي الملحد أندريه كونت سبونفيل (André comte Sponville) /1952-. يستعرض لنا مسيرته في حوار أجراه معه دورتي، حيث يؤكد أنّه عندما كان طالبا بالمدرسة العليا، كان ميشال فوكو M.Faucault بكتابه الموسوم: "الكلمات والأشياء"، هو أكثر الكتب قراءة، إلّا أن المحتوى لم يشبع فضوله من حيث إضفاء المعنى وفي المقابل يعترف أنّ كتب الفلاسفة القدماء، هي التي تهزّ كيانه المرء، وتستفزّ فكره وتعطي للمرء ما يبحث عنه-الحقيقة والغبطة-حيث يكشف أنه وجد راحته مع أرسطو وأبيقور وباسكال واسبينوزا Spinoza ... وليس مع فوكو ودوركايم ودوسوسير وستروس. (دورتي، 2009، صفحة 277) لأن فلسفتهم كانت مشكاة حياة في واقع عدمي، بائس ومظلم. بالمناسبة، نفس الوضع تقريبا كان يعيش فيه أبيقور جاعلا من الفلسفة هي الخلاص حيث يقول: "يجب أن نتفلسف حقا، لا أن نتظاهر بالتفلسف إذ لسنا في حاجة الى شفاء ظاهري فحسب

وانما الى شفاء حقيقي". (أبيقور، د ت، صفحة 220) فالتفلسف الحقيقي إذن، هو الذي يعالج هموم الإنسان الأنطولوجية، لا أن يخوض في مواضيع متعالية عن يوميات الإنسان كانت سببا في الإعراض عنه. بل المطلوب هو التعالى Transcendence في المحاشية L'immanence حسب هوسرل.

ونجد أيضا الكاتبة البريطانية "إديث هول" التي عاشت تجربة مريرة مع سؤال المعنى في حياتها، تروي أتمها في البداية قامت بتطبيق مختلف التعاليم الروحية الشرقية كالحكم البوذية، لكن من دون جدوى، ثم لجأت الى تناول العديد من العقاقير التي كانت تنصح بها، إلا أن هذا الأمر أيضا لم يكن مجديا، وهذا دون أن ننسى أنها كانت ابنة كاهن ومع ذلك المعتقد الديني لم يقدم لها أي معنى في حياتها، والمفاجأة أن ما كانت تبحث عنه وجدته في الأخلاقيات الأرسطية، حيث انتشلتها كما تروي سنة 2018 من حالة البؤس التي كانت تعيشها، فبتطبيقها الأخلاق النيقوماخية، وجدت ما كانت تسعى وراءه - حياة تفيض بالمعنى - حيث قامت بعد ذلك، بنشر هذه التجربة الأنطولوجية (الوهيبي، 2021، الصفحات 248-249) لتبين أن الفلسفة القديمة كانت فلسفة حياتية بامتياز، للإفادة المجتمعية بهذا الموروث، والتعريف به. لذا "من بين الأسئلة التي فُكر فيها أرسطو بشكل دائم هي: "كيف يجب أن نعيش؟ طرح سقراط وأفلاطون هذا السؤال، وكانت الإجابة عن هذا السؤال هي جزء من الفلسفة. كان لأرسطو جوابه الخاص: "ابحث عن السعادة" (علي، 2021، صفحة 35). فالأخلاقيات الأرسطية أخلاق سعادة بالدرجة الأولى.

2.2.2 فريدريك لونوار إيتي هيلسم.

يروى لنا أيضا فريدريك لونوار (ولد 1962 -) قصته مع الفلسفة وعن رحلته في البحث عن المعنى والسعادة، لعدم قبوله للعدمية دون مخرج. فكانت بداية رحلته مع أفلاطون ومحاوراته وبالأخص "الندوة"، فيكشف أن هذا الحوار السقراطي مكّنه من الوقوف على حقيقة نفسه، ثم ارتحل للهند لاكتشاف الحكم الشرقية "البوذية"، التي كان جد منبهرا بها فيوضح أن هذه الحكم هي تطبيب فلسفي، حيث تجيبه عن مختلف التساؤلات الوجودية كتعلمه كيفية التحكم في النفس، والتحرر من كل أشكال الخوف والغضب وضبط الرغبات وتكييفها حسب العالم الخارجي، (لونوار ف..، 2019، الصفحات 10-11) ونفس الأمر توصي الرواقية، وليس العكس كما هو حاصل اليوم بيننا. حين نحاول عبثا أن نكيّف العالم مع رغباتنا، أو نرغب أن يكون ذلك، فهي من الأوهام التي سببت لنا

التعاسة. فيقول: "مع ذلك فقد عشت التجربة شخصيا ووجدت أن البحث عن السعادة ليس أمرا من دون معنى. يمكن للمرء أن يكون أكثر سعادة فعليا بتفكيره في حياته وبقيامه بالاشتغال على نفسه، أو بتعلم اتخاذ القرارات الأكثر حكمة وكذلك من خلال تغيير أفكارنا أيضا أو معتقداتنا أو التمثيلات التي نكوّنها عن أنفسنا وعن العالم". (لونوار ف.، 2016، صفحة 06) نفهم من هذا القول مدى نفاذ الرواقية في فكر لونوار، على أساس أن المشكل يكمن في أحكامنا على الأشياء وتصوراتنا لها، وليس في الأشياء ذاتها. ويكشف أيضا لونوار أن الفلسفة ساعدته أيضا على تجاوز آلام فقد المقربين والأصدقاء وخلصته من الأحزان، مستعيرا أولا بالحكمة الرواقية، التي تؤمن بأن العقل لا يموت، ونفس اعتقاد سقراط بأن الروح لا تموت، فالإيمان بهذا الأمر يخفف علينا وطأة الآلام (لونوار ف.، 2016، صفحة 49) وثانيا نتجاوزها أيضا بتذكر ما هو جميل مع من فقدنا كما توصي الأبيقورية كالذي حصل له يوم موت أبيه. فيقول أبيقور Epicure: "يمكن التخفيف من الأحزان الشديدة بالتفكير في الأشخاص الذين وافاهم الأجل، وبالاعتراف لهم بالجميل مقتنعين في ذلك بأنه لا يمكن لما حدث أن يحدث". (أبيقور، د ت، صفحة 220) نكتشف مع لونوار أن الفلسفة فعلا كانت خلاص للبشرية في مصائبها، وعزاء لها في شوائدها.

للتأكيد أكثر على أن الفلسفة طريق نحو السعادة بالإمكانات الذاتية، مع قبول الأقدار، حتى في أسوأ الظروف، كما تقرر الرواقية خاصة، يذكر لنا لونوار قصة الشابة الهولندية "إيتي هيلسم"، التي تعرضت لأشد أنواع العذاب في المعتقلات، ومع هذا كانت مبقية على سكينتها، لأنها كانت تعتبر العذاب قدرا وجب الرضا به، فهو ليس إلّا جزء من كل، وهذه طبعاً من مبادئ الرواقية التي تدعو إلى قبول الحياة بكل جزئياتها حلوها ومرّها، دون مفاضلة. (لونوار ف.، 2019، صفحة 52) فتقول إيتي: "حين نمتلك حياة داخلية فمن دون شك لن يعود للمكان الذي نسجن فيه أي أهمية... فأنا مت من قبل ألف مرّة في ألف معسكر اعتقال. صار كل شيء معروفا لي ولم يعد أيّ خبر جديد بوسعه أن يقلقني. كنت أعلم ذلك كلّهُ بطريقة أو بأخرى. ومع ذلك، وجدت حياة جميلة وتفيض بالمعنى. في كل لحظة. فليس الواقع هو العقبة الكبرى دوماً بل تصوراتنا عنه." (فيرى، 2018، الصفحات 41-42)، هذه الحكمة ربّما قد استمدتها من العبد والفيلسوف الرواقي إبيكتيت، الذي كانت رجله تكسر وهو يضحك أمام جلّاده أو سيّد هراض به كقدر وجب قبوله. فيقول ماركوس أروليوس: "فقط: الفلسفة. وما الفلسفة سوى أن تحفظ ألوهتك التي بداخلك

سالمة من العنف والأذى، وأن ترتفع فوق الألم واللذة، ولا تفعل شيئاً بلا هدف أو بلا صدق أو بلا أصالة، وأن تترك ما لا يعينك مما يفعله الآخرون أو لا يفعلونه. وأن تقبل كل ما يجري عليك ويُقدر لك بوصفه آتياً من نفس المصدر الذي منه أتيت" (أوريليوس، 2019، الصفحات 43-44) فهذه الحكم العملية يمكن للمرء أن يعيش كالإله بين الأدميين.

3. عودة الفلسفة في الراهن الى الحقبة الهلنستية. " الفلسفة كعلاج لأمراض الوجود"

يشهد الفكر الفرنسي اشتغالا نوعيا في الراهن طابعه إتيقيا، هدفه تحقيق النماء الروحي والأخلاقي، لبلوغ حياة طيبة وسعيدة، وجد ضالته المرجعية في الحقبة الهلنستية خاصة، وهما ما سنراه مع بعض النماذج الفلسفية الفرنسية. فيقول بيار هادو: "الفلسفة إذاً غرباء... جنس منفصل. غرباء حقاً أولئك الابقوريون، الذين يعيشون حياة مقتصدة، يمارسون فيها مساواة تامة بين الرجال والنساء، داخل حلقتهم الفلسفية، بل بين المتزوجات والمحظيات. وغرباء أيضاً أولئك الرواقيون الرومان، الذين يديرون، بنزاهة، مقاطعات من الإمبراطورية يولون عليها، فإذا هم الوحداء الذين يأخذون مأخذ الجد قوانين السكر أو الإفراط في الشراب." (هادو، 2019، الصفحات 46-47) بالمناسبة يعتبر هادو من المفكرين الأوائل، الذين عكفوا على دراسة هذا التراث، وأعادوا بعثه.

1.3 فريدريك لونوار والفلسفة:

يعتبر فريدريك لونوار من فلاسفة العيش الجدد، الذين يريدون إعادة بعث التراث الفلسفي القديم، كتراث ذو طابع عملي، هدفه تحقيق العيش الكريم والحياة الطيبة التي يفتقر إليها الإنسان المعاصر، لذا نجده يعيد تأصيل المفهوم الحقيقي كما كانت قديماً خاصة في الفلسفة الهلنستية، "معهما لم تكن الفلسفة سوى طريقة للعيش، والعيش بسعادة. ولم يعد شقها النظري سوى وسيلة. إن الفلسفة تعلمنا العمل وليس الكلام كما يقول سينيكا، وعبثي هو كلام الفيلسوف إن لم يفلح في شفاء الروح من علّتها كما تقول حكمة أبيقورية" (فولشيد، 2011، صفحة 31) فما لا يشفي مجرد ثقافة عامة عقيمة.

إنها تعني تعلم الصمود أمام الدنيا، ومخاوفها والعيش في انسجام وتوافق مع ذاتنا ومع الآخر، فالوصول الى هذه الحكمة يجعلنا ندرك أن عيش حياة كريمة، لا يكون بالمال أو الشهرة أو الوظيفة... وإنما أن ننجح في حياتنا من خلال تحقيق السلام الداخلي وإضفاء المعنى على حياتنا. يعني علينا أن نفكر دائماً فيما نستطيع تطبيقه في حياتنا بعيداً عن

الأفكار المجردة غير القابلة للتجسيد، وهذا أيضا مانجده في الفلسفة الهلنستية والّا عدّ ذلك ترفا ومضيعة للوقت كما تعتقد الأبيقورية. (لنوار ف.، 2019، الصفحات 107-108) إن هذا السلام الداخلي هو الذي نفتقده اليوم، في ظل سيطرة العقل الأداتي والتقني والغلو في ثقافة الاستهلاك المعولمة.

وعليه البحث الفلسفي في الأصل وُجد من أجل السعادة، وهذا ما كان يؤكد حسه أبيقور حيث إنه "لم يكن يوقع على رسائله بالتحية المألوفة "السلام"، لكن بالنصيحة "كونوا سعداء"، أو "لتعيشوا بنزاهة"، يوحى هذا التفصيل بأن تحصيل السعادة عنده ليس موضوعا كغيره من موضوعات البحث الفلسفي، لكنه الموضوع الأساس الذي ينبغي على الجميع السير وفقه". (غرايش، 2019، صفحة 233) وهذا يعني أن الفلسفة ليست مجرد مجموعة من المعارف أو التفنن في التفكير المجرد، أو التعبير بأساليب غامضة، بل هي أداة للعيش بشكل أفضل كما كانت عند القدماء. (لنوار ف.، 2016، الصفحات 09-10) يقدم هنا لنوار نقدا صريحا للفلاسفة، الذين غيّبوا عن الفلسفة دورها العملي لمدة قرنين ويزيد (العصر الحديث) دون احتساب قرون العصور الوسطى.

2.3. لوك فيري والفلسفة:

لوك فيري من الفلاسفة الفرنسيين الجدد، الذين يعتبرون الفلسفة فن الحياة، لذا هناك حضور قوي للفلسفة القديمة في مشروعه الاتيقي. وهذا ما نجده في كتابه الموسوم بـ "تعلم الحياة"، حيث يستعير الأخلاق الأرسطية التي تجعل الفلسفة طريقة للبحث عن الحياة الطيبة من خلال تحقيق التناغم مع قوانين الكون. الفلسفة حسب فيري إذن هي رفض كل ما هو غير أصيل في الحياة والتمرد عليه. (علي، 2021، الصفحات 34-35) فيتعلّم المرء بفضلها عدم اتباع القطيع، لأنه هو مهندس حياته، والمطلوب منه هو الاشتغال على نفسه، لذا ربّما التفاهة التي نعيشها اليوم مردّها غياب التفلسف وسيطرة فقط التفكير البيولوجي الذي حوّل الانسان من ذات مفكرة إلى ذات مستهلكة مشيئة، مسلوقة الحرية والكرامة.

لذا حالنا اليوم كالذي يشير إليه لوكريتيوس Lucretius "إنهم يبحثون عن منتجعات لهم؛ في الريف، على البحر، على التلال، وأنت بصفة خاصة عرضة لهذه الرغبة المشبوبة، ولكن هذا من شيم الطغام؛ فما زال بإمكانك كلما شئت ملاذاً أن تطّلبه في نفسك التي بين جنبيك؛ فليس في العالم موضع أكثر هدوءاً ولا أبعد عن الاضطراب مما يجد المرء حين

يخلو إلى نفسه، وبخاصة إذا كانت نفسه ثرية بالخواطر التي إذا أظلمته غمرته بالسكينة التامة والفورية، ولست أعني بالسكينة إلا الحياة التي يحكمها العقل ويُحسن قيادها" (لوكريتيوس، 2018، صفحة 55) ينصح لوكريتيوس بمعرفة ذواتنا والانسحاب من الدنيا، والزهد فيها كما فعل أبيقور في حديقته، لأنها شغلتنا بما هو غير ضروري فنسينا أنفسنا، واشتغلنا بغيرنا، ولذلك فقدنا الحرية الداخلية والطمأنينة.

إن الفلسفة حسب "لوك فيري" هي دواء لمختلف الهموم الأنطولوجية لأنها تقدم لنا إجابة لتلك التساؤلات التي تعترضنا، وما يبرز ضرورة الفلسفة اليوم أكثر في الحضارة الغربية، هو زيادة نسبة الإلحاد، على أساس أن الدين كان يقدم الأجوبة للتساؤلات الوجودية، وعليه الفلسفة اليوم مطالبة بتقديم الخلاص للإنسان المعاصر التائه لانتشاله من وحل العدمية. (علي، 2021، صفحة 36) لتطبيبه من معاناته، من خلال الاستنارة ببعض الحكم الفلسفية القديمة، كما كان يفعل أبيقور مثلاً مع أصدقائه، عبر تقديمه للأدوية الأربعة المضادة للخوف والحزن والمولدة للفرح والسعادة، وفي نفس الوقت يستدل بـ "لوكريتيوس" الذي يوصي في قصيدته "في طبيعة الأشياء" إن ما يسرطن حياة المرء هو الخوف من الموت:

"تسيطر – على البشر كراهية الحياة ورؤية نورها

ولدرجة أنهم يقدمون على الانتحار بفؤاد قانط،

متناسين أن ذلك الخوف هو مصدر كل الهموم؛

فهو يدفع الواحد على انتهاك الحرمات، ويحث الآخر على

تحطيم أواصر الصداقة، بالاختصار يحثه على هدم فضيلة البر." (لوكريتيوس، 2018،

الصفحات 249-250) لذا تعرف الفلسفة على أنها التدريب على الموت أي عدم خوفه.

إن وظيفة الفلسفة تنوير العقول، للتحرر من مختلف الأهواء والانفعالات السلبية لكي تصبح أكثر سعادة وسهولة في العيش، ويعتبرها أيضاً ضرورة من أجل فهم العالم فهي إذن ليست تفكيراً نقدياً أو خطاباً للمحاجة فحسب، أو علماً نخبوا بل هي للعامة. فالواجب على الفلاسفة إذن هو الإقامة قرب هموم الإنسان والاشتغال عليها، بغية إعطاء الترياق لكل ما يصيبه ويجرح كينونته، فهي خلاص ذاتي بتوجيه عقلي من تدخل كائن آخر أو من دون عون الآخر بتعبيره، عكسها هو عليه الخلاص الديني. كما كانت تفعل الفلسفة القديمة (فيري، د ت، الصفحات 16-17) لذا المعارف حسب أبيقور التي لا تسعد الإنسان،

وتحقق له اللذة وتبعده عن الألم، أو كما يسميها الثقافة العامة، هي معارف لا جدوى منها، وقد تصبح مصدرا للألم والشقاء البشري (غرايش، 2019، صفحة 43). يقول فيريان الفلسفة: "تعلم الحياة، وتعلم عدم الخوف عبثا من مختلف أوجه الموت، أو بكل بساطة، تخطي تفاهة الحياة اليومية ومرور الوقت... رسالتها تستحق منا الإصغاء لأن فلسفات الماضي، وبخلاف ما هو حاصل في تاريخ العلوم، ما زالت تخاطبنا، وهذه نقطة تستحق التفكير فيها لوحدها". (فيري، د ت، صفحة 18) يوضح إذن فيري أن الفلسفة رسالتها الأصلية كانت وستزال ولا تسقط بالتقادم، إنها بلوغ الحياة الطيبة. فلا وظيفتها تتغير، ولا علم يقوم في مقامها.

يكاد يكون هناك شبه إجماع على أن الفلسفة ليس دورها تقديم إجابات، بل هي فن طرح السؤال، إلا أن لفيلسوفنا رأي آخر ومغاير فيعتبر أن الفلسفة دورها تقديم إجابات جديرة وعميقة ومهيرة عن ذاتنا أو عن الأشياء، فنتمكن من خلالها التغلب على مخاوفنا وحصرها فيما هو غير إتيقي، يجعلها لا تستحق الاهتمام ولو للحظة، ووجب الانصراف عنها، مستعيرا فيري هذه الفكرة من باسكال pascal، فالتطور العلمي والتقني حسبه ليس بمقدوره الإجابة عن الأسئلة الكبرى، التي لا تجد إجابة لها سوى عند الفلاسفة. (فيري وكبلياي، 2015، الصفحات 06-07) إنها قادرة على إعطائنا القدرة على الحياة، حتى بالرغم من إدراكنا بأننا سنموت، وأننا محدودون غير مخلصين، لذا تجيبنا حسبه، نحن غير المتدينين عن سؤال الحياة الطيبة، فتبعدنا عن العدمية، وحياة العبث، إنها تفكير في كيفية العيش بطريقة كريمة. (دورتي، 2009، صفحة 85) فما أحوج المجتمع الغربي للفلسفة اليوم بعد إماتة الإله وسيطرة العلمانية، وتخفيف الأخلاق وجعلها غير مؤلمة.

4. الحضور الهلنستي في الفلسفة المعاصرة "السعادة نموذجا"

يشهد الفكر الفلسفي المعاصر، عودة إلى الدور العزائي، الذي كان يعد وظيفة جوهرية في الفلسفة القديمة، فكانت البداية مع شوبنهاور Schopenhauer ليلتقطها تلميذه نيتشه، ثم تظهر بقوة مع فلاسفة العيش في فرنسا، كلوك فيري ولونوار وسبونفيل وأنفراي وغيرهم متحدّين العدمية، وهدفهم انتشار الإنسان منها، بعدة براديفغات محاكين الفلسفة القديمة عموما والغربية خاصة، ورهائهم العيش في الحاضر هنا والآن بلا خوف ولا حنين ولا أمل، لأنهم أسباب تعاسته وشقائه. (ناشيد، 2020، صفحة 48) مؤكدين بهذه العودة أن الوظيفة التي كانت تؤديها الفلسفة، ليس جمع المعارف ومراكمتها، بل تدريب الإنسان

على العيش وحب الحياة على أصالتها، بعيدا عن كل أشكال الزيف التي تعرفها اليوم.(بنعبد العالي، 2012، صفحة 14) لذا يقول بيار هادو عن الرواقية والأبيقورية "فإن كل مدرسة تمارس تدريبات مصممة لكي تحقق التقدم الروحي، نحو حالة مثالية من الحكمة ستكون للروح بمثابة تناول علاج طبي. وبصفة عامة تتكون التدريبات في المقام الأول من السيطرة على النفس والتأمل. والسيطرة على النفس هي الأساس انتباه المرء إلى نفسه: يقظة بلا انقطاع عند الرواقيين، والتخلي عن الرغبات غير الضرورية عند الأبيقوريين." (هادو، 2019، الصفحات 50-51)

تجدر الإشارة إلى أن هذه العودة مبررة، على أساس أن هناك تشابه كبير بين الوضعين الهلنستي والمعاصر من الناحية الأخلاقية، فبلاد اليونان في الفترة الهلنستية بعد وفاة الإسكندر الأكبر، دخلت في أزمة سياسية واجتماعية، الأمر الذي أدى إلى انصراف الناس عن القضايا المنطقية والمسائل الفلسفية المجردة، والتوجه للبحث في القضايا الأخلاقية بغية تحقيق الطمأنينة والسكينة، عازفين عن المجال السياسي، لخروجه من دولة المدينة، ووقوعه تحت سيطرة الإسكندر المقدوني.(أبوريان، 1976، صفحة 253) وهذا كان سببا مباشرا في ظهور كل من الرواقية والأبيقورية واللاأدرية، كمدارس تهدف إلى تحقيق السعادة، فجعلت أخلاقيات السعادة هي المبحث الأثير للفلسفة وبقية المواضيع- المنطق والعلم- في خدمة الأخلاق، ونفس الأمر ينتهجه فلاسفة العيش اليوم حيث أن فلسفتهم أخلاقية بامتياز.(بدوي، 1970، صفحة 06) وهذا يعني أن الأخلاقيات القديمة أو المعاصرة هدفها واحد ويتمثل في معالجة الوضع الروحي المتأزم الذي يعرفه الفرد الذي يعرف حالة ضياع في الأسس والمبادئ والمرجعات التي حطمت بالمطرقة النتشوية، لتتوالى عليها الضربات حتى بقي الانسان وحيدا.

1.4 فريدريك لونيوار والسعادة.

إن الحضور الفلسفي الأخلاقي القديم، سواء الشرقي في صورة البوذية، أو الغربي مع الأبيقورية والرواقية بين وجلي، في فلسفة السعادة عند لونيوار Frédéric LENOIR، وما يهمنا في بحثنا الأخلاقيات الهلنستية، فعندما نتحدث عن لونيوار نحن نتحدث عن فيلسوف مصنف ضمن فلاسفة السعادة، لاعتقاده بإمكانية بلوغها بإمكانياتنا الشخصية - بالعقل كموجه- السعادة عند لونيوار ذاتية لا تفتقر إلى الآخر، فمن وجد راحته الداخلية، لن تؤثر عليه ظروف العالم الخارجي، مهما ساءت، فالسعيد سيتأبد السعادة

الداخلية والحزين كذلك، (فيرى، 2018، صفحة 38) فمادام أن هذين الشعورين متجذرين في داخلهما، فلا حاجة لهما لثروة أو مال أو مناصب الخ، وهذا ما تعتقده الرواقية، سواء في مسألة إمكانية بلوغها، أو مسألة انحصارها على الذات. فيقول أوروليوس "والسعادة تتعلق على تقدير الذات لذاتها" (أوريليوس، 2019، صفحة 39) بعيدا عن الانشغال بأراء الآخرين وأحكامهم، التي لا تهم، بل وربما ستكون سببا في نسيان أنفسنا، وهنا نلمس شدة تأثر أصحاب الرواق بسقراط.

إن طبيعة الحكمة عند لونوار كانت قديما، مستقلة عن الآخر، متوقفة على التدريب الذاتي، حيث تمكّن من تنمية الأنا الداخلي، والمساهمة في تطوير وازدهار ما يحيط به (لونوار ف.، 2016، صفحة 06) وهذا دليل على أن الفلسفات القديمة لم تكن فلسفة انغلاق على الذات، بل فلسفة انفتاح وقبول للآخر، وهو المقصد الاتيقي المعاصر الذي يشتغل عليه فلاسفة الاختلاف، بعيدا عن مركزية الأنا الديكارتية. وعقلية الأنا الغربي الخارق! إن السعادة التي يبتغيها لونوار، هي سعادة مشابهة لتلك التي كان يعيشها الإمبراطور والفيلسوف الرواقي ماركوس أوروليوس، فبالرغم من ثرائه كان مستعدا للتخلي عن كل شيء من أجل سلامه الداخلي، السعادة إذا موجودة في الداخل وليس في الخارج. "كانت الفلسفة ملاذه وراحته، كيما يحتمل القصر ويحتمله القصر. الفلسفة هي الشيء الوحيد الذي يمكنه أن يحفرنا في مغترب وجودنا" (أوريليوس، 2019، صفحة 22). وفي هذا تطبيقا أيضا للحكمة الأبيقورية، التي تنصح بالزهد في الحياة، والاقتصار فقط على ما هو ضروري طبيعي، بغية تحقيق الأتراكسيا، وهذا للتححرر من مختلف الأهواء والأفكار غير المنسجمة مع طبيعتنا، بتوجيه من عقولنا. (لونوار ف.، 2019، الصفحات 8-94) فيقول أبيقور في رسالته الى منيسي "التعود على العيش البسيط والقنوع لهو أفضل ما يضمن لنا الصحة الجيدة وما ييسر لنا الاستجابة لمتطلبات الحياة الضرورية، كما أنه يجعلنا، عند وجودنا أمام ما لذّ وطاب من الأكل، قادرين على التمتع بذلك حقّ التمتع وهو أخيرا ما يجعلنا لا نخشى تقلبات الدهر". (أبيقور، د ت، صفحة 206) وحتى "لونوار" نفسه طبّق تعاليم الهلنستيين، فيذكر أنه وبالرغم من ثرائه، إلّا أنه استغنى عن كل شيء، وأبقى فقط على ما هو مهم، ولم يستسلم لشهواته ومطالبه الجسدية. حيث كانت تجربة ناجحة تفيض بالمعنى حسبه. (لونوار ف.، 2019، الصفحات 11-12) لذا ينصح "لونوار" بضرورة التعامل مع اللذات بصفة تراتبية، أي ليس كبجها، وإنّما وضع سلّمًا للتعامل معها بإحداث

توافق بين طبيعتنا وقيمنا، عن طريق العقل كما تنصح الحكمتين الهلنستيتين، فيقول أبيقور في الحكم الأساسية "إنما الثراء الموافق للطبيعة محدود وسهل المنال، أما الثراء الذي يقع تخيله وفق آراء باطلة فلا حدود له." (أبيقور، د ت، صفحة 211) فالمطلوب ربما كما كان يدعو "روبير مسراحي" Rebert Misrahi هو القناعة السعيدة، أي الرضا بما هو موجود لأنه فقط الذي يسعدنا بعيدا أو هام الماضي أحلام المستقبل، وإلا سنيئزفنا حتى الموت ونيهكنا الاستهلاك.

إن فلسفة "لونوار" فلسفة حياة وسعادة، فلسفة ترفض العدمية والعبثية في الحياة لذا نجده يؤكد على ضرورة وضع هدف في الحياة، والعمل على تجسيده، كما تؤكد الرواقية حيث يستعير مقولة لمونتين ترجع الى سينيكا، يؤكد فيها أن السفينة التي ليس لها مقصد معين، لا يوجد لها أي رياح تناسبها. وهذا ينطبق على الإنسان الذي وجب عليه أن يضبط بوصلته على هدف معين، فهذه الاستنارة الرواقية يمكن أن تكون مخرج من المأزق الأنطولوجي للإنسان اليوم. فالذي يؤذينا حسب ماركوس أوروليوس هو عدم الرضى بالقدر وإيذاء الآخر، والخضوع للذة أو الألم والتكلف والتراخي أي عدم الصدق وعدم تحديد الهدف في الحياة. (أوريليوس، 2019، صفحة 43) ونجده في مواضع أخرى أبيقوريا، فينصح بما كان ينصح به أبيقور أصدقاءه، كونوا سعداء. (لونوار ف.، 2019، صفحة 13) أي إصراره على إرادة الحياة والسعي الدائم نحو حياة طيبة وتهيئة أنفسنا لذلك، على حسب ما هو موجود أماننا هنا والآن، والرغبة فيما يناسب طبيعتنا كما توصي الرواقية، إن السعادة تكمن في ضرورة حب الواقع كما هو موجود، أي قول نعم لما يحيط بنا لأنها أقدر حملتها الطبيعة (العقل الكوني، الالهي)، فالواقع يصبح جميلا إذا نظرنا اليه على أنه قدرنا، فنكيّف رغباتنا، لأنه لا يوجد شيء جميل في ذاته أو سيء في ذاته، إنما أحكامنا وتصوراتنا عنه هي من تحدد طبيعته. لذا من غير اللائق لوم الحياة ومن اللازم لوم أنفسنا، (لوكريتيوس، 2018، صفحة 57) فعبر هذا الاشتغال نستطيع بذلك تحويل آلامنا وأحزاننا الى سكينه، ليس بتجنبها بل بقبولها وهذا عبر القيام بتدريبات روحية. فلعلاج الألم وجب تصحيح الأحكام والآراء، حيث إنه بتغير آرائنا عن الأشياء التي كنا نراها مؤلمة، تصبح غير كذلك.

لتوضيح فكرة حبنا لكل جزئيات حياتنا حلوها ومرّها، يستشهد لونوار بما توصي به الرواقية، وبالضبط بابيكتيت وكذلك بالبوذية، موضحا أيضا أن التصور الديني، يختلف

عن التصور الفلسفي في مسألة التعامل مع الأقدار، أما الديني فيقبله دون السعي لتغييره، في حين أن الفلسفي يقبله، (لونوار ف..، 2019، الصفحات 45-47) مع محاولة تغييره وتعديله، وإن وجدنا مقاومة خارجية تمنعنا من تغييره حسب لونوار، علينا أن لا نحزن أو نغضب، بل علينا أن نغتبط بذلك، ونفرح. وهذا نحافظ على سلامتنا الداخلية لأن كل ما هو متعلق بنا كفلته لنا الطبيعة، والطبيعة لا تفعل بنا إلاّ خيرا. فيقول بيار هادو: "الحكيم الرواقي مبتهج بحركة العالم، قانع بما يأتي به القدر ويوجهه عقل العالم. وإذا ينظر الحكيم إلى كل شيء في سياق "الكل" يرى كل شيء جميلا، حتى النتائج الثانوية العرضية والمنقّرة! (هادو، 2019، صفحة 17)، وهنا يستشهد لونوار أيضا بما يشرحه إبيكتيت فحالنا كحال ذلك الكلب المربوط بالعربة، التي تجر من كلبين، فإن كنّا نريد سلامة عقولنا وراحتنا، علينا أن نكيّف وجهتنا طبقا لوجهة الكلبين، في حين أنّه إن لم نقم بذلك فسُنْقاد رغما عنّا كما يرغب الكلبين، وحينئذ سنخسر أنفسنا وأصالة وجودنا. ونفس الأمر يؤكد عليه نيتشه F. Neitgshe في عقيدته المشهورة حب القدر amorfati حيث إنه لم يكن يميّز بين الأفراح والأحزان، لأنهما جزء من الحياة، (لونوار ف..، 2019، الصفحات 48-50) لذا وجب حب الحياة كلها بكل تفاصيلها، هنا والآن، وعيش اللحظة بعيدا عن أوهام الماضي وأحلام المستقبل، وهذا دليل أيضا على مدى تأثر نيتشه ولونوار بالحكم الرواقية. فيقول مارك أوريل: "كل ما تتمنى يوما بلوغه بطريق ملتو بوسعك الآن أن تناله إذا كنت منصفًا لنفسك؛ أي إذا تركت الماضي وراء ظهرك وأوكلت المستقبل للعناية، ووقفت الحاضر على التقوى والعدل على التقوى فترضى بنصيبك المقسوم؛ فقد جعلته لك الطبيعة وجعلتك له" (أوريليوس، 2019، صفحة 159). يدعو لونوار إلى العيش في وفاق مع الطبيعة، فتلك هي الحكمة، التي تدعو إلى الرغبة فقط فيما يناسب طبائعنا وذلك كالأتي "أشياء مهمة وضرورية فهي خير، وأشياء غير مهمة وغير ضرورية فهي شر. أشياء وسط media أو لا هي خير ولا شر (لا فارقة)... كالفقر والغنى، والمرض والصحة

و الحكم والملك... الخ" (أوريليوس، 2019، صفحة 17)، حينئذ نكون قد تعرّفنا على أنفسنا كما يقول سقراط، وهذا يمكّننا من حياة أصيلة تفيض بالمعنى والفرح بعيدا عن الاغتراب والسعادة المزيفة، التي تدل على أننا لم نفهم ونعرف أنفسنا، فالشقاء البشري حسب مَرْدَه الرغبة في الشيء الخطأ، فمثلا إن صدمنا شخص ما، علينا ألاّ نعاتبه بل نلوم أنفسنا، لأنّ جهلنا من قادنا إليه، فالترياق هو ما تراه الرواقية، أي نوجه عقولنا، أو ما وهو إلهي فينا

التوجيه الصحيح، للعيش بسلام وصفاء. وهذا الأمر حسب لئونوار لا يتقاطع فيه مع نيتشه والرواقية فحسب، بل مع فيلسوف الفرح اسبينوزا الذي يؤكد على ضرورة تماشي ما هو إلهي فينا مع طبيعتنا الذاتية والكونية "(لئونوار ف..، 2019، الصفحات 53-54-56). إن لئونوار يستعير أيضا من البوذية والرواقية مسألة عدم التعلق كمسألة جوهرية في التعاليم القديمة، فالتعلق أو التوق الشديد كما تسميه البوذية يسبب لنا التعاسة، وأن عدم التعلق يعلمنا الاستقلالية، ويرفض منطق الاتكالية والأنانية، لأن عدم تعلقي بالشيء، يعني أنني أرفض تأييد امتلاكه، وهكذا نصبح منسجمين مع المنطق القائل بالتغير الدائم للعالم، الذي أقره هراقليطس، وعن الأبيقورية أيضا يأخذ منها حكمة تجاوز الأحران، بتذكر ما هو جميل مع من فقدنا، فهو إذن عزاء أو نوع من الخلاص الأبيقوري، الذي يؤكد عليه لئونوار لأنه عايشه شخصا، عندما فقد أباه (لئونوار ف..، 2016، صفحة 146) بعد هذا الاستعراض يتبين لنا مدى تأثير لئونوار بالأخلاق الهلنستية.

2.4 لوك فيري والسعادة.

يرى لوك فيري أن الاهتمام بمسألة بالحياة الطيبة والسعادة لا يمر إلا عبر الانطلاق من الماضي، ومدارسه الكبرى، وما استشهاد به بأرسطو وأبيقور وإبيكتيت لوكريتيوس وأوريل، لدليل أن الفلسفة القديمة هي المرجع دائما في الاشتغال على المواضيع المصيرية التي لا تموت بالتقادم. (فيري وكبلياي، 2015، الصفحات 20-21) لذا نجده يكشف عن مدى حاجة المجتمع المعاصر اليوم -الذي يعيش حياة مزيّفة -إلى ضبط النفس والتحكم في مختلف الرغبات والانفعالات المتحكم فيها رأسماليا، للنصائح الرواقية أو الأبيقورية وهذا ما يفسر استدعائه لحكم لوكريتيوس وأبيقور في كل مرة الداعيتين إلى الاقتصار فقط على ما هو ضروري ومتناغم مع طبيعتنا وكوننا، وهذا لعيش حياة طيبة وكريمة، (فيري، 2018، صفحة 44) بعيدا عن حياة الفسق والمجون والجري وراء الملذات التي تمت عولمتها وتجذرها في ممارساتنا اليومية.

إن مسألة السعادة حسب لوك فيري كأحد التساؤلات الكبرى أو الجوهرية في مبحث الأخلاق، للاشتغال عليها في العصر الحديث أو المعاصر، لا بد من التفكير فيها انطلاقا من القدماء كأبيقور أو إبيكتيت أو بوذا، وهذا الإقرار بالمرجعية الهلنستية كمرجعية عالمية زمانية ومكانية، أي مقاصدها الاتيقية تبقى مؤبدة في حين أن العلم بخضع للقطيعة الأبستمولوجية الباشلارية. وهذا هو السر في منطق الفرادى الذي تتميز به الفلسفة عن

العلم(فيري، د ت، صفحة 18) إنّ الانكباب النّهم والشره حسب فيري، على مختلف السلع والملذات مردّه خوف الانسان من الموت، فهذا الخوف المرافق له طول الوقت يجعله دائما هاربا الى الأمام، من دون وعي منه، لاستهلاك أي شيء كان، فحياة مزيّفة كهذه دليل فعلي أن الانسان اليوم نسي كيف يعيش، غارق في سعادة مفتتة، تقترب من سعادة الهائم، لذا المطلوب من الفلسفة، وكما كانت من قبل، هو قول "لا"، لا لتحويل الانسان الى سلعة أو إلى حيوان مستهلك أو إلى رقم أو إلى شيء... والسبب في أنها سعادة هشّة غير دائمة، أو مجرد تجميع للذّات، هو أن الإنسان المعاصر، يسعى لرغبات لا تتناسب مع طبيعته، إنها مصطنعة وغير مناسبة له نتيجة تفكير خاطئ أدّى به إلى الشقاء والتعاسة(فيري، 2018، صفحة 75) وأكثر من ذلك سيستنزف لاحقا الى الموت، ليس بيولوجيا فحسب بل فكريا ونفسيا وأخلاقيا، لذا من خصائص إنسان ما بعد الحداثة، أنّه لا يفكر ومحبط نفسيا وفارغ أخلاقيا، وهذا نوع من الإماتة الفكرية والنفسية والأخلاقية. وهذا ما يفسّر شقاء النوع البشري اليوم. الذي مشكلته أيضا أنّه لم يُقم في حاضره - هنا والآن- ولم يتمتّع به، وبقي حبيس الشّرّين - حنين إلى الماضي وأمل في المستقبل - وضاعت حياته بين هذين الزمنين.

إن إنسان ما بعد المجتمع الصناعي، مشكلته أنه يرغب فيم هو غير طبيعي، ونقص هذا أنه يرغب فيما لا يتناغم وطبيعته. التي تتميز بصفة عدم الشبع، فبمجرد أن تصبح في رغباتنا في متناولنا، تخرقنا رغبة أخرى، فلا نستمتع في نهاية المطاف لا بالأولى ولا بالثانية ولا... ونصبح نجري وراء الملذات جري الهيم إلى ما لانهاية، غير مقيمين البتّة في حاضرنّا، لذا ينصح فيري بما تنصح به الرواقية، وهو عوض السعي لتغيير طبيعتنا وعالمنا طبقا لرغباتنا، (فيري، د ت، الصفحات 30-85) وهذه هي مشكلتنا تقريبا نحن البشر ومصدر تعاستنا، علينا أن نكيّف رغباتنا طبقا لطبيعتنا الذاتية أو الكونية، وقبل هذا علينا أن نتصالح مع أنفسنا، أي نتعرّف على ذواتنا، على ما يناسبنا طبيعتنا فعليا، فنقيم داخل قلاعنا الذاتية، راضين بأقدارنا، كحل أيضا لحل مشكلة اغترابنا، وهذا يجعلنا نرجع إلى المنهج الاستبطاني لسقراط. الذي يوصي بمعرفة أنفسنا لا بمعرفة الأشياء.

إن سبب شقاء إنسان الشاشة، هو رغبته اللامتناهية في الإشباع، وحاله في هذا السعي، كمن يريد تعبئة برميل بدون قاع، وهذا المثال كان قد استعاره من لوكريّس، فلا الرغبة سوف تشبع، مثلما أن الجرّة سوف لن تعبأ. (فيري، 2018، صفحة 76) ويمكن أيضا أن

نشبهه بعقاب الآلهة لسيزيف، ومعاناته مع الصخرة، التي تسقط في كل مرة، وهو مجبر على معاودة الكرة إلى الأبد. لذا المشكل وراء تعاسة الإنسان المعاصر، هو رفضه عدم التصالح مع أنه، حيث إنه مقيم دوماً في بلد أجنبي، ونتيجة هذا الإنكار الذاتي، أنه لم يضع سُلماً للأولويات في رغباته كما فعلت الأبيقورية وحتى الرواقية، التي تمكنت من بلوغ الأتراكسيا بإمكانيات ذاتية بسيطة، فهم الإنسان اليوم فقط الاشباعدون مراعاة ملاءمتها لطبيعتنا البشرية، ومن دون النظر إلى كمّها وكيفها. وعليه وجب أن ننوّه بأن فكرتي ضرورة الإقامة في الحاضر وتأصيل الرغبات وفقاً لطبائعنا يستعيرها هنا فيري من الفلسفة الهلنستية رواقية كانت أم أبيقورية. فيقول ماركوس أوروليوس: "أذكر أن كلا منا لا يعيش إلا اللحظة الحاضرة، وما أضألها في الزمن، وأن كل ما سواها من العمر هو إما ماضٍ غير عائد وإما مستقبل غير معلوم؛ فما أقصر مدة المرء إذا في هذه الحياة وما أصغر البُقعة التي يقطنها على الأرض! وقصير أيضاً مجده بعد وفاته مهما امتد" (أوروليوس، 2019، صفحة 50). وأما عن مسألة التعلق التي نجدها تقريبا الفكرة الجوهرية لمسألة السعادة، فإن لوك فيري له رأي يختلف عن زملائه، خاصة لونيوار وأندريه كونت سبونفيل، فيعتقد أن ليست كل الأمور وجب رفض التعلق بها، خاصة مسألة حب الأبناء، كمقصد إتيقي يرتكز عليها كمصدر للسعادة، وكثافة للمعنى في الحياة، في حين يرى أن الحاجيات غير الضرورية فحسبه فعلا وجب عدم التعلق بها، وعدم الرغبة في امتلاكها والتوق إليها (فيري، 2018، صفحة 84). ولهذا السبب نجده يختلف عن لونيوار والأخلاقيات الهلنستية عموماً، فيرى بأن السعادة لا ترتد على الاشتغال الذاتي كما تعتقد الأخلاقيات الهلنستية فحسب، بل تتأثر بالظروف الخارجية وحالة من نحب أيضاً وهذا تقريبا ما كان يعتقد أرسطو، (علي، 2021، صفحة 35) "وهكذا قصر أرسطو السعادة على خير النفس باعتبارها خير الإنسان بما هو إنسان، وإن كان هذا لم يمنعه من التنويه بالخيرات الخارجية والجسمية، كغيره من فلاسفة اليونان" (إبراهيم، 1969، صفحة 134). لذا نجده يكشف توجهه الفلسفي حيث يعترف باحترامه للرواقية والابيقورية، ولكنه ليس رواقياً ولا أبيقورياً، أي لا يذوب في كل مبادئهما. وربما هذا هو السر في قوله أنه يحترم لكنه لا يذوب في كل مبادئهما. (فيري، د ت، الصفحات 76-84) الذي يؤكد من خلالها ضرورة أن يترك الإنسان ماضيه وراءه راضياً بما منحته إياه الطبيعة ويركز فقط بحاضره ويستمتع به، لأن تفقد

الماضي وتذكره، هو الذي يقلّب على الإنسان المواجه ويجعله دائما غائبا عن حاضره، حاضرا في ماضيه، مما يجعل الماضي هو المسيطر على أناه في حاضرها.

خاتمة:

ختاما نقول، إنّ الفلسفة المعاصرة باشتغالها المحايث للإنسان وهمومه، تثبت أحقيتها كعيادة طبية، دورها معالجة كل أشكال التعاسة والشقاء، التي تصيب الجنس البشري لقد أثبت فلاسفة العيش أنّ الفلسفة إطلاقا ليس كما يروج لها، على أنها مدرسة في النقد والتفكير المجرد، وإنما هي تفكير عملي إجرائي، هدفه تدريب الانسان كيفية العيش بغية ايصاله الى حياة طيبة وكريمة، إنّ الفلسفة هي دعوة صريحة لحب الحياة والاقبال عليها، إنها تولّد للمهتم بها رغبة بالتمسك بكل لحظات الحياة، فتجعل حياته تفيض بالمعنى، ملّكا على نفسه، مسيطرا على انفعالاته وعواطفه، مدركا للمعنى والغاية من وجوده، متصالحا مع نفسه متعرّفا عليها، محبا لكل ما يحيط به، غير منغلقا على نفسه منفتحا على الآخر المختلف عنه جذريا.

إنّ الفضل في إعادة الهبة والاقبال على الفلسفة اليوم، يعود الى إعادة قراءة التراث الفلسفي القديم خاصة اليوناني المتأخر والروماني، الذي كان يعتبر الفيلسوف طبيبا والفلسفة طبابة للأنفس كما للأجساد، لا نكاد نبالغ إن قلنا أن الفلسفة اليوم تعلن نفسنا المعالج الحقيقي للمسائل الوجودية الكبرى، من خلال تقديمها إجابات عقلانية وواقعية، بعيدا عن ما تقدّمه بعض التخصصات الدخيلة، كعلم النفس الإيجابي مثلا التي توصف فلسفيا بالدجل والشعوذة، لأن هدفها تجاري محض، وأفكارها تزيد من البؤس والشقاء، ولا تقدم إضافة إيجابية للإنسان. بل تستنزفه حتى الموت. هذا فيما يخص ما توصلنا إليه، وأمّا ما نوصي به، هو تكثيف الدراسات حول مسألة السعادة في مجتمعنا المعاصر، وربطها أخلاقيا بالاستشارات الرواقية والأبيقورية، لاعتقادنا أن هذه الحكم مفيدة جدا نظرا لصعوبة العيش التي نشهدها، والعمل على إيجاد مقاربة إتقية من خلال إعادة بعث التراثين الإسلامي واليوناني، وهذا بغية التأسيس لمستقبل مشرق وحياة طيبة لمجتمعنا العربي والإسلامي.

قائمة المصادر والمراجع

- أبيقور. الرسائل والحكم. (جلال الدين سعيد، المترجمون) الدار العربية للكتاب.
- أدريين كوخ. (2023). آراء فلسفية في أزمة العصر. (محمود محمود، المترجمون) مؤسسة هندواي.
- بيار هادو. (2019). الفلسفة طريقة حياة. (عادل مصطفى، المترجمون) القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.
- جان فرونسوا دورتي. (2009). فلسفات عصرنا، تياراتنا، مذاهبها، أعلامها وقضاياها (الإصدار 1). (منشورات الاختلاف، المحرر بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.
- جمال مفرح. (2009). الفلسفة المعاصرة من المكاسب إلى الاخفاقات. (منشورات الاختلاف، المحرر الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون.
- جون غرايش. (2019). العيش بالتفلسف، التجربة الفلسفية، الرياضيات الروحية، وعلاجات النفس الفلسفة كعلاج مع سقراط وأفلاطون (الإصدار 1). (محمد شوقي الزين، المترجمون) مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.
- حسن حماد. (2005). الإنسان المغترب عند إريك فروم. القاهرة: مكتبة دار الكلمة.
- حسين علي. (2021). أحفاد سقراط، قصة الغرام بالفلسفة (الإصدار 1). بيروت، لبنان: دار الرافدين.
- دومينيك فولشيد. (2011). المذاهب الفلسفية الكبرى. (مروان بطش، المترجمون) بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
- زكرياء إبراهيم. (1969). مشكلات فلسفية، المشكلة الخلقية (الإصدار 1). مكتبة مصر.
- سعيد ناشيد. (2020). الوجود والعزاء الفلسفة في مواجهة خيبات الأمل. دار التنوير.
- عبد الرحمن بدوي. (1970). خريف الفكر اليوناني (الإصدار 4). القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- عبد السلام بنعبد العالي. (2012). الفلسفة فنا للعيش (الإصدار 1). المغرب: دار توبقال للنشر.
- عبد الله الوهبي. (2021). معنى الحياة في العالم الحديث (الإصدار 1). مؤسسة دراسات تكوين للنشر والتوزيع.
- فريدريك لونوار. (2016). في السعادة رحلة فلسفية (الإصدار 1). (خلدون النبواتي، المترجمون) تونس: دار التنوير للطباعة والنشر.
- فريدريك لونوار. (2019). الحكمة لمن يبحث عنها. (عبير محمود، المترجمون) دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة.
- لوك فيري. تعلم الحياة، سأروي لك تاريخ الفلسفة. (سعيد الوالي، المترجمون) أو ظبي للثقافة والتراث، كلمة.
- لوك فيري. (2018). مفارقات السعادة (الإصدار 1). (أيمن عبد الهادي، المترجمون) القاهرة، مصر: دار التنوير للطباعة والنشر.
- لوك فيري، وكلود كبللي. (2015). أجمل قصة في تاريخ الفلسفة (الإصدار 1). لبنان: دار التنوير للطباعة والنشر.
- لوكرتيوس. (2018). في طبيعة الأشياء، (الإصدار 1). (علي عبد التواب علي، المترجمون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- ماركوس أوريليوس. (2019). التأملات، الكتاب الثاني. (عادر مصطفى، المترجمون) مؤسسة هندواي.
- ماريا بونوفا. (2021). الحياة التي لم نعشها، مقالات إبداعية. دار الخان.
- محمد علي أبوريان. (1976). تاريخ الفكر الفلسفي، أرسطو والمدارس المتأخرة (الإصدار 3). بيروت: دار النهضة العربية.